الاستجابة البليغة للرواية
رواية مصائر لربعي المدهون
نموذجًا

د. صباح اليازغي

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة استجابة الجمهور الأدبي لرواية الفلسطيني ربعي المدهون «مصائر: كونشرتو الهولوكوست والنكبة» التي فازت بجائزة البوكر سنة 2016. ويتوخى دراسة استجابات القراء المكتوبة في موقع (كود ريدرز) على هذه الرواية، من خلال تصنيف هذه القراءات والقراء وتحديد طبيعة استجابتهم لها، وما الذي تحكم في استجاباتهم؟ ويعتمد منهجا له «بلاغة الجمهور» للباحث المصري عماد عبد اللطيف، من خلال ما قدمه عبر دراساته المتعددة من آليات لدراسة استجابات الجمهور. وقد كشف هذا المقال عن سلطة الرواية، وعن طبيعة المقاومات التي اعتمدها الجمهور لتفكيك سلطة هذا الخطاب.

الكلمات المفاتيح: بلاغة الجمهور، الاستجابة البليغة، رواية مصائر، السلطة.

Résumé:

Cet article vise l'étude de la rhétorique de l'audience littéraire du roman du palestinien Rabie MADHOUN «Massair: Koncherto Holocauste et la Nakba», qui a gagné le prix poker en 2016. Il étudié également les interactions des lecteurs écrites sur le site (GOODREADERS). A propos de ce roman. Et qu'est-ce qui a contrôlé ces interactions? Pour ce faire, il prend comme méthode «la rhétorique de l'audience» du chercheur égyptien Imad ABDELATIF à travers les mécanismes de l'étude des interactions de l'audience présentés dans ses études. Par la suite, l'article met le point sur le pouvoir du roman et la nature des résistances du public pour faire démonter ce pouvoir.

Les mots clés: Rhétoriques de l'audience- Réponse Rhétorique- Roman MASAIR- Pouvoir.

- **مقدمة:**

تتكون العملية التواصلية من ثلاثة أطراف أساسية هي المتكلم والخطاب والمتلقي، ويُعد المتلقي أو المخاطَبُ العنصر الذي يتوجه إليه المخاطب بخطابه [1]، مستعملا في ذلك آليات بلاغية من أجل محاججته وإقناعه بأطروحة ما، ومحاولة التأثير فيه بشتى الطرق المتاحة له. ويمكن عدُّ البلاغة التقليدية بلاغة متكلم بامتيازٍ، فهي تسعى إلى تحقيق غاياته.[2] غير أنه مع توسيع حقل البلاغة، بدأ الاهتمام يتجه نحو طرف مهم في العملية التواصلية، هو المخاطب أو الجمهور بصفة عامة. وهكذا تحولت الأنظار في عصرنا الحالي من الاهتمام بالمتكلم والخطاب إلى الاهتمام بالجمهور، من أجل تحريره من السلطة الخطابية التي تمارس عليه. وهو ما أطلق عليه الباحث المصري عماد عبد اللطيف **بلاغة الجمهور**[3]، التي تهدفُ إلى دراسة استجابات الجماهير للخطابات الموجهة إليه، وكيفية تزويده بسبل مقاومتها وتحرره من هيمنتها عليه.

وإذا كانت بلاغة الجمهور "تحاول الحد من «سحر البلاغة». وتقليل أثر الانفعال، وتفعيل التلقي العقلاني للخطاب البلاغي"[4] ، من أجل "تشكيل وعي مضاد بالتلاعب البلاغي، وتمكين الأفراد العاديين من مقاومته بواسطة استجابات رشيدة"[5]. وأن الجمهور البليغ هو "من يقوم بإنتاج استجابات بليغة "[6]. من خلال "اكتساب القدرة على تمييز الخطاب السلطوي، والوعي بالوسائل اللغوية التي سيستخدمها لتفعيل سلطويته.

والاستجابات الفعالة التي يستطيع المخاطب بواسطتها مقاومته." [7]. فإن الاستجابات البليغة أو البلاغية وفق حقل بلاغة الجمهور هي"تعزيز قدرات الجمهور بوصفهم أفرادا متعقلين في حالة جمهرة، باتجاه إنتاج استجابات بليغة، كاشفة ومقاومة لتلاعبات الخطاب"[8] أي إنها استجابات "مقاومة لسلطة الخطاب"[9] الذي يمكن أن تمارس على المخاطب. ويمكن القول إن الخطاب الروائي خطاب سلطوي، تكمن سلطويته في سحره الأسلوبي الذي يغري القارئ ويثير إعجابه، مما ينتج تأثرا وهذا التأثر في الغالب يكون انفعاليا خاضعا للعاطفة وليس للعقل.

وبناء على ما سبق، نهدف من خلال اعتماد بلاغة الجمهور منهجا تحليليا دراسة "**الاستجابات البليغة لرواية "مصائر" لربعي المدهون**"عن طريق تحليل استجابات الجمهور المتفاعلة مع هذا النوع الخطابي الذي ينتمي لحقل الأدب، وبيان طبيعة هذه الاستجابات ونوعية الجمهور المستقبل لها، وذلك حسب الأيديولوجيات المنطلق منها للتعبير عن رأيه عبر موقع goodreadsباسم شخصي أو منتحل.

1- المادة المدروسة وسياق التعليقات:

ترجع خلفية التعاليق على رواية **"مصائر: كونشرتو الهولوكست والنكبة"** لربعي المدهون في موقع **goodreads**، إلى سياق ترشحها لجائزة البوكر العربية سنة 2016 مع روايات أخرى، والتي انتقلت فيها الرواية من القائمة الطويلة إلى القائمة القصيرة، قبل أن تفوز بهذه الجائزة. وهذا ما جعل هذه التعليقات أن تكون بمثابة تقييما للرواية فنيا ومضمونيا، حسب وجهة نظر القراء.

وستنحو دراستنا منحى يدرس استجابة الجمهور لهذا النوع الخطابي، ومدى تفاعله معه، وقدرته على الكشف عن سلطويته، ومحاولة تقويضه ودحضه بآليات ووسائل ضمنها في استجاباته.

وسيتجه التحليل أولا إلى تحديد مستويات القُرَّاءِ، الذين تفاعلوا مع هذا الخطاب الروائي، من قارئ مثقف إلى قارئ شبيه بالمثقف، وطبيعة هذا القارئ؛ هل هو قارئ ناقد أو قارئ جمالي، إلخ، تبعا لاختلاف منطلقات القراء الفكرية.

وقد أتت هذه التعاليق وفق أنماط عديدة، أغلبها طويل فيه تفصيل لأحداث الرواية، والمواضيع التي أثارتها، كما تتناول طريقة عرض الرواية وتقنياتها وأسلوبها، ثم تختم أغلب التعاليق بالتنبؤ بفوزها من عدمه أو التهنئة بذلك، وقليلة هي التعاليق القصيرة، التي تختصر الانطباع الشخصي عنها والتوقعات المتعلقة بالجائزة.

2 . أنواع المخاطب:

يتوجه خطاب الرواية إلى قارئ متنوع ومختلف، لذلك يعمل الروائيون على كتابة الرواية بلغة مفهومة[10] تراعي مختلف القراء تبعا لمتغيرات الجنس والعمر والعرق. وهكذا يميل الكتاب الكبار إلى معالجة قضايا قومية أو حضارية، يكون لمعظم القراء اطلاع عليها ومعرفة مسبقة بها.

ونجد في رواية مصائر نوعين من القراء؛ **القارئ المثقف**، الذي يحاول أن ينتقد الرواية بمعايير نقدية موضوعية، وقد يكتفي بذلك، أو يضيف انطباعه الشخصي عنها في آخر التعليق أو بكلمات تتخلل سائر التعليق، **وقارئ شبيه بالمثقف**، وهو مستهلك للرواية، من ناحية الاستمتاع بالأسلوب والجانب الجمالي الذي يجذبه، دون النظر إلى القضايا التي تنطوي عليها الرواية. ويمكن القول عن القارئ المثقف إنه قارئ نموذجي يستطيع أن يُظهر ما يستبطنه الخطاب الروائي ويتفاعل معه، وفق قدرات قراءته، المستمدة من الحقل النقدي للخطاب الروائي. أما القارئ الثاني (الجمالي)، فيستند في تعليقاته على انطباعات الذوق المرتبطة بالعواطف التي يحركها تفاعله مع الخطاب الروائي. ويمكن الإشارة، في هذا الصدد، إلى المقومات

المجتمعية التي تسهم في تكوين نظرة المتلقي بصفة عامة[11] . ومن هذا المنطلق يمكن تحديد هذه المقومات في: مقوم ديني، ومقوم تاريخي، ومقوم سياسي. وهو ما يمثله الانتماء الفكري للمخاطب أي الخلفية المحركة له لإبداء رأيه، ولعل هذا يتمثل في المتلقي الجمالي أكثر من المتلقي الذي يمارس نقدا يمكن القول عنه إنه موضوعي إلى حد ما. ونبرز هذه المقومات[12] فيما يأتي.

2-1- البعد الديني:

إن مقوم الدين في إبداء الرأي والحكم على الرواية، كان حاضرا في تعليقات الجمهور، من خلال اعتبار القضية التي تتناولها الرواية هي قضية محاطة بقداسة دينية ترتبط بتاريخ ديني من منظور الجمهور العربي، الذي يدافع عن القضية الفلسطينية ويتبناها، ويعطي الشرعية لنفسه أن يبدي رأيه فيها كلما وجد خطابا يتناول هذه القضية، بل ويعدُّ نفسه مدفوعا إلى التدخل برأيه المعارض أو المؤيد. وقد أثارت هذه الرواية التي تناولت القضية الفلسطينية من جانب حساس يتمثل في دعوة مؤلفها ربعي المدهون إلى السعي إلى التعايش السلمي بين الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي، بما أن الحرب تجلب الدمار والمعاناة لكلا الشعبين. وقد عبر عن ذلك من خلال تصوير مشاهد لإسرائيليين يعانون من الحرب ومخلفاتها، وإبراز الجانب الإنساني فيهم، باعتبارهم بشرا، مثلهم مثل أي فلسطيني، يعانون مما يعاني منه. وهو الأمر الذي أثار حفيظة مستقبلي الخطاب، فاعتبروا الروائي من الطائفة التي استسلمت للواقع، فأظهر الجمهور رفضه شبه الكلي لهذا الأمر، وعده حلا غير مقبول عند العربي المناضل المتشبث بحقه الذي يعطيه له دينه والقانون، دون منازع فيه. وهو الأمر الذي أعطى للجمهور طاقة دفاعية ينطلق منها وتحفزه في المطالبة بحقه، حتى وإن كان في تعليق بكلمات على جدران العالم الافتراضي.

2-2- البعد التاريخي:

تتحكم هذه الإيديولوجية في قراءة المخاطب للرواية واقتنائها، وذلك لما تمثله فلسطين من رمز تاريخي للمسلمين. وهو ما يدفع القارئ العربي إلى متابعة ما جد فيها، لأنها تمثل جزءا من تاريخه الذي شهد نكبة 1948، وظلت متجذرة في لا وعيه، وتأسس على ذلك وعي بالقضية الذي حملها كل عربي وكل مواطن فلسطيني.

2-3- البعد السياسي:

أما من الجانب السياسي، فالقضية الفلسطينية التي استمرت قرابة 70 سنة بعد استيطان الحركة الصهيونية لبلد فلسطين، حتى أصبحت قضية سياسية تخص الفلسطينيين والعرب وتعاطف العالم عامة. لقد ظل هذا التحدي في بعده السياسي مستمرا من أجل تحقيق الحرية والانتصار على مغتصبي هذا البلد، دفاعا عنه بالحجارة أو القلم.

3- تصور الجمهور للقضية الفلسطينية ومدى توافقها مع رؤية المؤلف:

3 . 1. تصور المؤلف:

تدور أحداث رواية مصائر حول القضية الفلسطينية منذ عام 1948، وذلك انطلاقا من قصص شخصيات فلسطينية وإسرائيلية، شخصيات نصف متخيلة ونصف حقيقية تمشي في أرض الرواية حاملة القضية الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي، وطموح السلام. إنها تترجم رغبة في المصالحة والدعوة إلى التعايش. وذلك من خلال تصوير مواقف مختلفة إلى درجة التناقض في الشخصية الإسرائيلية الواحدة؛ إذ العنف والإرهاب الذي يمارسونه على الشعب الفلسطيني يتعلق بسياقات ومواقف تفرض عليهم، فتختلف بين شخصية الجندي الواقفة على حدود

الضفتين، وبين المواطن العادي الذي لا سلاح له، أي الشخصية الإنسانية. وهكذا حاول ربعي المدهون أن يصور هذا التناقض في تركيبات الشخصيات باعتباره واقعا معاشا يجب إعادة النظر إليه. فالكل غير راض عن وضع بلد لم يعد يعرف السلام.

وهنا يطرح المدهون إشكال الهوية في خصوصيتها وعموميتها[13]. وتتمثل الهوية الخاصة في الهوية الفلسطينية التي شغلت بال المدهون في روايته، هذه الهوية التي لطالما وجدت شخصية مزدوجة الانتماء تتحدث عنها، بين البلد الأصل وهو فلسطين وبلد آخر مستضيف غير فلسطين، لكن تظل الهوية الفلسطينية هي الانتماء الأول والأخير عند كل من حمل هوية ثانية من بلد يعده في أقصى اعتباره له أنه غريب، فعلى الرغم من القذائف التي تتساقط على رؤوسهم وعلى الرغم من تأسيسهم عائلات خارج بلد فلسطين إلا أن الهوية الأصل ظلت منبع الفخر والانتماء.

أما الهوية في عموميتها التي طرحها المدهون، هي هوية الإنسان في العالم، مهما اختلف انتماؤه القومي أو العرقي أو الديني. إن فكرة المدهون عبر تصويره لمواقف تحاكي واقع شخصيات مختلفة الانتماءات وتعيش في ظروف مختلفة، وقد تكون مجبرة أو حرة في تصرفاتها، هي فكرة يمكن أن تفهم في كونيتها، ما دمنا نحن كلنا بشر. إنها رواية تطرح أسئلة واقعية لواقع فلسطين.

3..2. تصور الجمهور:

يرى الجمهور أن القضية الفلسطينية هي قضية كل عربي وكل إنسان تجري في عروقه دماء الإنسانية، وستبقى كذلك إلى أن يطرد منها المحتل الإسرائيلي المغتصب للأراضي الفلسطينية. والفكرة التي يعكسها خطاب الرواية، أي الدعوة إلى السلم والسلام والتعايش بين الشعبين، هي فكرة زائفة في نظره، تدل على الذل والخضوع والاستسلام، الذي لا يمكن أن يكون بعد كل هذه السنوات من المقاومة، والتصدي للعدوان، كما يرى الجمهور أن المؤلف لم يعايش أحوال فلسطين، وإنما وصلته أصداء من هناك عن بعد، وأنه لم يختبر الإجرام الذي يمارس في حق أهل الأرض، والتشريد الذي يتعرضون إليه كل يوم على يدي هذا الاحتلال المتوحش. إن استجابة الجمهور للفكرة التي يطرحها المؤلف في روايته، أي الدعوة إلى التعايش والسلم والسلام، مرفوضة في أغلب الاستجابات، لم يقبل بها الجمهور، ولم يقبل الصورة التي قدم بها شخصيات إسرائيلية تدعو إلى الشفقة عليهم باعتبارهم بشرا أيضا، وتفاعلت تعليقات أخرى مع فكرة الرواية بطرح الإشكالية على أسئلة لا جزم فيها، من قبيل (**"يجب النظر في هذا الأمر"..**).[14]

وما يمكن استنتاجه من التصورين السابقين أي تصور المؤلف والجمهور هو أن هناك تعارضا في الرؤى واختلافا في التمثلات بين الطرفين، إذ عمد الكاتب إلى بناء هوية سردية[15] خالفت معتقد مفهوم الهوية لدى الجمهور، فالمؤلف يدعو إلى السلم والتعايش بين مختلف الطوائف المتعددة بعيدا عن الحرب، أي في إطار هوية إنسانية مشتركة، وهو طموح شكله عبر خلق هوية سردية متخيلة، بينما الجمهور. معظمه. ينطلق مما يشكل هويته القومية لبلده فلسطين وعبء القضية، الأمر الذي سيخلق اصطداما في الاستجابات، والتي ستكون متنوعة بين أنواع المتلقين المختلفين حول تقبل أو رفض أفكار المؤلف التي عبر عنها في إطار جنس روائي.

4. استجابات الجمهور المتواطئة مع سلطة الخطاب: سحر الرواية[16] .

4-1- أثر نوع الخطاب: الخطاب الروائي غواية الأسلوب واستمالة الجماهير.

إن الخطاب الروائي هو الخطاب الأقرب إلى مخاطبة النفس وتحريك الوجدان، لما يحققه

السرد والأسلوب الجميل من لذة ومتعة للقارئ.[17] فهذه السمات الأدبية الجمالية تجعل من الرواية ذات طابع تأثيري في متلقي الخطاب، وعبر هذا التأثير تتشكل سلطتها، وقد يستسيغ المخاطب ما كان يرفضه، فتجعل الرواية من الخطاب مكان طرح إشكاليات وقضايا، والتطرق إلى المقدس والمدنس والمحرم والممنوع، في حبكة سردية تلتف بغشاء التخييل. وحينئذ نصبح أمام خطاب يدمج بين مستويين: مستوى ظاهري يتمثل في الأسلوب الجمالي، ومستوى باطني يتضح في الأطروحة، فيختلط الجانب الفني الجمالي بالفكري الأيديولوجي، وهكذا يدفع المتلقي إلى تقبل فكرة ما، وهي فكرة قد يكون معارضا لها أو العكس. فهل استطاع مخاطب رواية مصائر أن يحدد هذين الغرضين ويفرق بينهما؟ ولم يسمح للمؤلف أن يقنعه دون دلائل منطقية عقلية؟

2-4- أنواع الاستجابات:

يمكن الحديث في هذا الصدد عن استجابات ذوقية إيجابية، وهي استجابات تنقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول صادر عن جمهور يهتم بالأسلوب الروائي الذي صيغت وفقه الرواية، وما تحققه من لذة في القراءة، وهو جمهور يستسلم لسحر الرواية. وتمثلت تعليقاته في عبارات تكررت معبرة عن إعجابها بالعمل الروائي، وذلك من قبيل: **"جيدة، جميلة جدا"، "مؤثرة جدا" "مبكية"، "مميزة بتكنيك السرد"، "لغة أنيقة وجميلة"، "أعجبني"، "أجمل رواية في القائمة الطويلة لجائزة البوكر"، "تمنح المتعة والرغبة في زيارة فلسطين"، "فكرة الرواية جيدة"، "أسلوب جديد"، "أسلوب الحكي مختلف ومميز"، "قطعة فنية ممتعة تطرب لها الأنفس"، "شخصياً أعجبت"، "ربعي نجح"، "عظمة المدهون"، "حركة لطيفة محببة."عشقت فلسطين، بت فلسطينيا من وصف ربعي المدهون لها، أصابتني بالدهشة، مذهل بكيت رشاقة الأسلوب. "**[18]

وهذه العبارات تعكس انطباعا شخصيا ترتبط بحكم ذوق القارئ، الذي أثرت فيه الرواية، كما أنها عبارات لا تحمل أي نوع من النقد، بل سلمت للخطاب أن يمارس عليه . أي على المتلقي . تأثيره وهيمنته المقصودين دون أي نوع من المقاومة. وذلك وفق خصائص الرواية الجمالية التي غايتها تحقيق المتعة واللذة من فعل القراءة، فهذه الخصائص وفق هذه الاستجابات، تكون قد حققت الرواية من سحرها الجمالي غايتها في فرض سلطتها على القارئ.

والقسم الثاني عبارة عن استجابات قامت بإعادة كتابة مقاطع من الرواية: ويندرج هذا النوع من الاستجابات في الاستجابات الذوقية للجماهير المعلقة على الرواية لصالح بعض تعابيرها التي أثرت فيها. وهذه بعض الأمثلة المعبرة عن هذا النوع الثاني:

- **"كان المساء يقترب من ليله هادئا كسولا مثل نهر التايمز، لم يضايقه مطر ولم تغضبه رياح، وقد نعست على جانبيه زوارق وغفت"**[19] (ص: 38. 39)

- **"وأصوات موسيقى يونانية تتمشى في المكان وتوزع إيقاعاتها على الشط"**[20] (ص: 45)

- **"داعبت رأسي عناقيد بلح أحمر. عمتي ليست هنا،، عمتي هناك،، عمتي ليست هناك،، عمتي ماتت في خان يونس، هناك في بيت على حافة مخيم لاجئين. لم أجد أثرا لها حين زرت المقابر القديمة في المدينة قبل سنوات، ولا حتى حرفا من اسمها انفصل عن شاهد قبرها وانتظرني ليدلني عليها"**[21] (ص: 56)

تعد هذه المقاطع استجابة للخطاب الروائي من خلال عملية تكرار كتابة تلك المقاطع التي أثرت في المخاطب. ويمكن القول عنها وانطلاقا من

اختيارات الجمهور لمقاطع محددة، إن نوع هذه الاستجابات متفاعلة مع مقاطع تتسم بأسلوب جميل، ولغة محتفية بنفسها حققت للجمهور المتعة، التي ينشدها من الرواية، طامحا أن تطول لحظة الاستمتاع بها أطول مدة ممكنة، وذلك من خلال إعادة كتابتها، كما أن هذا القارئ اقتبس مقاطع تحمل مشاعر تخلق الانفعال، وهي التي تصور أحداث يلين لها القلب وتثير فيه حزنا لذيذا، يمزج بين الفرح والألم، إنها مشاعر مختلفة إلى درجة التناقض، وهذا التناقض هو الذي جعل هذا الخطاب أكثر تأثيرا من غيره. وبعد انتهاء المقطع يذيلها بنقط حذف؛ دلالة على جماليتها اللامتناهية، وغير المستطاع التعبير عنها، فيترك لمن يقرأ التعليقات أمام مجال مفتوح على تأويلات وتعبيرات لا حدود لها، وهذه استجابات مؤيدة لسحر الرواية، التي مارسته على المخاطب.

أما القسم الثالث من الاستجابات كان كتابة فقرة أو عبارة طويلة في أسلوب جمالي: وهو تعبير المتلقي عن إعجابه الكبير بأسلوب الرواية والأثر الذي تركه فيه؛ ومن الأمثلة الدالة على هذا النوع من الاستجابة نسوق ما يأتي:

- **"اللغة كانت جميلة "رقراقة"،، يا إلهي! هل قلت "رقراقة"،، فعلا،، كانت رقراقة ساحرة جميلة مبهرة... ويا لروعة التشبيهات.."**

- **"في عالم الرواية،، الساحرة.....،، ستسحرك الكلمات وتلقي عليك تعويذتها،، لتأسرك داخل عالمها،، ستحملك بين طياتها،،، تتمشى داخل أزقتها وحتما ستنبهر بحكاياتها،، التي ستستمع لها بنشوة عارمة ممن يسكنونها...." "تلك كانت رائعة المدهون،، مصائر".**[22]

وهذا النوع من المتلقي يصنف ضمن الاستجابات الذوقية، يعكس مدى أثر الخطاب الروائي الذي مارسه عليه، وتحكمه فيه لينتج عبارات جمالية كالتي وردت في الرواية.

وعليه، فإن استجابة الجمهور الذوقية أو الخاضعة لسحر الرواية، هي استجابة تعبر عن تمثل النوع الخطابي . الروائي . في ذهن القارئ، إذ تترجم له الجمال اللغوي، وتحقق له المتعة المبتغاة من القراءة، فالرواية في نظر هذا الصنف من القراء خطاب يحتفي بجماله وتشرك معها . أي الرواية . في ذلك القارئ، الذي يتذوق هذا النوع الخطابي بفن وروح تعشق الجمال. فهذه الخلفية الذي ينطلق منها هذا القارئ هي خلفية تشير إلى كيف تنطبع الرواية في مخليته، اعتبارا منه أنها نوع خطابي يسرد الأحداث في قالب جميل، يخاطب أهواءه المختلفة ويحرك شجونه.

5- استجابات الجمهور المقاومة للرواية: مقاومة سحر بلاغة الرواية.

إن البلاغة المقاومة للخطاب أو المضادة له[23] تمتلك طرقا مختلفة لفعل ذلك، وقد لا يأتي ذلك دفعة واحدة وإنما يتجلى عبر عدة آليات يقوم بها الجمهور، تختلف من متلق إلى آخر؛ فهناك المقاومة الجادة، والمقاومة الهزلية، والمقاومة التي لا تعير للأمر أهمية كبيرة وتضفي عليه طابع التفاهة. تتمثل المقاومة الأولى في المثقف الناقد، الذي يبني رأيه على استدلالات وحجج، أما المقاومة الهزلية فتوظف السخرية سلاحا في نقض سلطوية الرواية ومحاولة كسر بنيتها الحكائية والأسلوبية. في حين ينصرف النوع الأخير إلى تقديم أحكام اعتباطية تنم على انطباعه.

5-1--أنواع الاستجابات:

5-1-1- استجابات نقدية:

وهي الاستجابة الصادرة عن الجمهور المثقف، الذي يعي مقومات جنس الرواية ويحترم خصائصها الفنية التخييلية، وهذا النوع من الجمهور يدرس بنية الرواية فيما يخص شكلها وحبكتها السردية وشخصياتها وأدوارها داخل الرواية والتقنيات التي استعملها الروائي في عرض

روايته واحترافية النص وبناء الرواية على الحركات الثلاث لموسيقى الكونشرتو حيث تنقلب الشخصيات الرئيسية في كل حركة إلى شخصيات ثانوية مع شخصيات جديدة تكون هي الرئيسية ثم تختم بالحركة الرابعة التي تجمع مجريات الحكايات كلها في خط واحد ليخلص إلى النهاية، وتداخل الحوارات في الرواية باللغة العامية واللغة المفككة من قبل الأجانب، وعبارات بالعبرية، إلخ.

يمكن التمثيل لذلك كالآتي:

"قام الكاتب بتركيب الرواية على قالب الكونشرتو الموسيقي من أربع حركات كل حركة تتكون من بطلين مرة يكونوا الأبطال الأساسين ومرة يكونون ثانويين ليأخذ آخرين الأدوار الأساسية حتى الحركة الرابعة التي يتجمع كل الأبطال".[24]

" أفترض أنه حين يضع كاتب ما عنواناً كهذا فهو دعوة غير مباشرة للتعرف على هذا النمط الموسيقي. فيقول المدهون في مقدمة الرواية: قمتُ بتوليف النص في قالب الكونشرتو الموسيقي المكون من أربع حركات، تشغل كل منها حكاية تنهض على بطلين اثنين، يتحركان في فضائهما الخاص، قبل أن يتحولا إلى شخصيتين ثانويتين في الحركة التالية، حين يظهر بطلان رئيسان آخران لحكاية أخرى، [..] وتكون ثيمات العمل التي حكمت كل واحدة من الحكايات، قد التقت حول أسئلة الرواية حول النكبة، والهولوكوست، والعودة .لكن ما وجدته عن الكونشرتو هو التالي: تتألف الكونشرتو من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول: وهو أهم الأجزاء الثلاثة وأطولها ويكون عادة سريعا. الجزء الثاني: وهو لحن عاطفي هادئ الحركة يقترب من شكل الأغنية. الجزء الثالث: وهو الأخير، يكون بأسلوب اللحن السريع والذي يبرز فيه العازف المنفرد في الأدوار السريعة الإيقاع كمل قدراته الأدائية. وفي هذا المقطع تظهر (الكاونزا) وهي مقطع موسيقي ينفرد به العازف من دون مرافقة الفرقة ويظهر فيه كل طاقته الإبداعية ثم تختم الفرقة مع العازف المقطوعة"[25]

"التقنيات السردية التي استخدمها الكاتب من فلاش باك وتقديم وتأخير وحكايات فرعية تتفرع من بعضها".[26]

"لا تجد حكاية محورية بمعنى الكلمة. أين الحبكة؟ لا توجد حبكة. لماذا؟ لأن المدهون يقدم لنا صورة من الرواية الجديدة والتي تذكرنا بالحركة التجديدية الفرنسية لميشال بوتور وألان روب جرييه.. وتذكر بأحلام فلوبير القديمة أن تكتب رواية عن لاشيء. واللاشيء لا يحتوي على حبكة حتماً. إذن، فقد راهن المدهون على أن جديده في كتابة رواية عن فلسطين يكمن في أسلوب الرواية الحداثي.. والذي ينتمي لربما لحقبة الحركة التجديدية الفرنسية آنفة الذكر. لكن، هل هذا أمر جيد بالضرورة؟"

. "مسألة الرواية داخل رواية ليست جديدة في الأدب فلربما كلنا يذكر إليف شافاك في روايتها قواعد العشق الأربعون [..]".

. " وأجمل ما في الرواية تطعيمها اللهجة الفلسطينية وإن كانت زائدة عن الحد [..]".

."الإسهاب باستخدام اللغة العبرية وتمجيدها في بعض المقاطع [..] الإسهاب باستخدام العامية والخلط بين اللهجات فلا تكاد تجد الحد الفاصل بين اللهجة الحيفاوية والمقدسية والغزاوية".[27]

يتميز هذا النوع من الاستجابات بكونه موضوعيا إلى حد ما، إذ يغلب عليه الجانب النقدي الروائي مع انطباعات خفيفة تتخلل بعض هذه الاستجابات.

وتمثل هذه الاستجابات نوعا من المقاومة للرواية، وذلك من خلال وضع المعايير المتفق عليها أمام أعين القراء، إذ بني انتقادهم للرواية من خلال

استحضار الرواية النموذج وخصائصها من أجل وضع حكم عليها . على رواية مصائر. هل احترمت المعيار أم خرقته؟ لقد حاول ربعي أن يجدد، أو بالأحرى يدخل نوع الرواية الجديدة إلى العالم العربي، وهذا الأمر هناك من القراء من أشار إليه باستحسانه أو استهجانه، وهذا يدخل في طبيعة الرواية، كما في الحبكة المتداخلة، التي سبق للقارئ أن تعرف عليها مع رواية "قواعد العشق الأربعون" لإليف شافاق، الأمر الذي يبين اطلاع القارئ لما جد في الرواية من تقنيات سردية دخيلة، فمن هذا المنطلق وضع تقييمه للرواية من خلال تتبعه لعوالمها، مما يولد صورة حول القارئ أنه مطلع ومتتبع لمستجدات النقد كي يعطي رأيه في الرواية وينتقد، وليس من السهل أن تمر من بين يديه دون معرفة بنيتها وتخومها السردية. مما ينطبع في الذهن حول هذا القارئ واستجابته أنه حاضر ليس بانفعالاته وإنما بعقله الناقد.

5-2-1-استجابات ترصد أخطاء الرواية ونقاط ضعفها:

اقتصرت هذه الاستجابات على ذكر الأخطاء التي وقع فيها المؤلف في نسج خطابه الروائي، فالقارئ يطمح إلى قراءة عمل متكامل ينغمس فيه دون تشويش ذهني، ومن هذه الأخطاء: مسألة الراوي الذي كان ينتقل بين صيغة المبني للمعلوم وصيغة المبني للمجهول دون مقدمات، مما يجعل القارئ يقع في نوع من الالتباس، ثم استخدام اللغات المتعددة داخل الرواية كالعامية ونطق الأجانب المفكك، وتفسير الكلمات التي لا تحتاج لذلك، وترك الكلمات التي تحتاج التفسير وهي المنطوقة بالإنجليزية والعبرية، أو ترجمة عبارات بالعبرية خاطئة، ونقل الأصوات كما تتداول في مواقع التواصل وهي لغة الدردشة، وعدِّ الحركات الثلاث لموسيقى الكونشرتو التي اعتمدها الكاتب وزاد عليها حركة رابعة خطأ منه، وأنها رواية سياحية، كما أن طريقة سردها مرهقة.

."نقاط الضعف منتشرة كثيرًا في الرواية؛ بدايةً؛ هل يدرك ربعي المدهون أننا كفلسطينيين في الداخل الفلسطينيّ نُجيد اللّغة العبريّة كما العربيّة؟ الأخطاء في ترجمة كلمات اللغة العبريّة فادحة"

. "مثل هذه الأخطاء لا يمكن غضّ النظر عنها كون الرواية هي الفائزة بالبوكر"

."فهي فقيرة جدا من الناحية الأدبية.."

. " اسم الرواية أكبر من حجمها.. وكأن الكاتب احتار بين عنوانين فكان منه أن دمجهما معا في عنوان واحد كبير... أكبر بكثير من القيمة الأدبية للرواية"

. "لغة الرواية ضعيفة جدا وتقريبا جميع الحوارات بالعامية الفلسطينية أو العبرية... وهناك بعض الإنجليزية أيضا...والقصة مروية على لسان الراوي إلا أن هناك بعض الفصول والفقرات مروية على لسان جنين ابنة عم وليد"

. "هناك ضعف في نسيج اللغة فيما يتعلق بالضمائر مما يصيب القارئ بالارتباك ليعيد القراءة، مما يشير إلى فوضوية الكاتب أثناء الكتابة على الرغم انه ذكر في المقدمة ان العمل استغرقه أربع سنوات "

. "أزعجتني كثيرا اللغة المدرجة [..] وطالما عبرت على أن هذا النوع بمثابة سلاح مزدوج يمكن أن يعبر عن تفاصيل الحياة اليومية والثقافية لشعب معين، كما يمكن أن يضع حدودا للعمل الأدبي ويقصيه من عالمية العمل الأدبي.." [28]

تشير هذه الاستجابات المقاومة إلى يقظة القارئ، وهو يمارس فعل القراءة للرواية، وتنم هذه الأخطاء التي رصدتها بعض الاستجابات إلى أن الكاتب كان مقصرا في احترام الطرف الموجه له هذا الخطاب، مما ولد للقارئ نوعا من الإحباط في تلقي العمل

وخلق لديه انطباعا سلبيا عنه جعله يرفض الخطاب الروائي ويتطلع إلى عمل أكثر إتقانا من هذا. وفي الوقت نفسه تشير هذه الاستجابات إلى اهتمام الجمهور بالخطاب الروائي واحترامه له، وهذا ما جعله يشير إلى تلك الأخطاء في تعليقاته، لأنه قارئ يسعى إلى الكمال في العمل الروائي كي يخلق له لحظات المتعة أكثر وأطول دون أن تنقطع بهفوة أو خطأ.

5-1-3- استجابات ذوقية سلبية:

يعد هذا النوع من الاستجابات عبارة عن انطباعات سلبية حول الرواية، عُبِّرَ عنها بعبارات صريحة ومباشرة، نحو:

. "صدمة الرواية لم تخلق التعاطف الذي كان محتملا منها. الرواية نزهة سياحية".

. "إقحام ذات المؤلف أمر غير مقبول. لم تعجبني الرواية. ببساطة، لم تكن بحجم التوقعات الّتي بنيتها. وبرأيي لم تستحق كلّ هذه الضجّة وحتى البوكر".

. "لا أملك أن أعجب حقاً بذلك. صحيح أن النهاية توحي بجزء قادم. لكنني لا أشعر بالحماسة نحوه أبداً، فالمدهون لم يتخلّ عن الألفاظ النابية في روايته هذه.. بل وزاد عليها إساءة الأدب مع الله عز وجل (صفحة 107) [29] **وكل ذلك لا داعي له...والصور الأدبية شحيحة... لأن الكاتب انشغل بسرد الأحداث وذكر التفاصيل".**

. "عيب الرواية أنها تحمل ألفاظ نابية ومسبات لا داعي لها ولتكرارها وان كانت لإضفاء لمسة واقعية على حقيقة الأحاديث العامية وما تحوي من عبارات وألفاظ"

. "لم يعجبني، تطلع القارئ إلى أن هذه الرواية ورواية السيدة من تل أبيب سيرتا ذاتية للكاتب، اسم الرواية أكثر من حجمها، لغة الرواية ضعيفة...." [30].

تنم هذه الاستجابات عن طبيعة الرواية التي يحب أن يقرأها القارئ، ولاسيما عندما تعلق الأمر بالقضية الفلسطينية، فالمنتظر كان استحضار شخصيات فلسطينية تعيش حياة داخل الحرب القائمة، تثير في نفس القارئ تعاطفا وشفقة وحزنا، وتقربه من واقع حياة الفلسطينيين الذين يعانون معاناة مختلفة في نظر القارئ، وتحتاج إلى أن تنقل إلى خارج فلسطين؛ كي تخلق تضامن القراء ومشاركة هموم حياتهم. لكن الرواية كانت عكس هذا، لقد كسرت توقعات القارئ بهذا العمل، وأحبطته، وانطبع لديه ذلك حتى على الأعمال المستقبلية للكاتب.

كما أُشِيرَ إلى قضية إقحام الكاتب اسمه داخل الرواية، الأمر الذي جعل القارئ يشعر أن الكاتب يقوم بدعاية لنفسه عبر هذا العمل ويرسم صورة له من داخل الرواية على لسان الشخصيات التي شكلها في روايته، وهو أمر لم يجد صدى طيبا لدى القارئ، بل اعتبره ذريعة لهدم خطاب الرواية.

وأثيرت القضية الأخلاقية أيضا في الاستجابات، إذ رأى المتلقي أن الخطاب يحوي ما يخل بالأخلاق ويسيء إلى الذات الإلهية، وهذه نقطة تلمس جوهر القارئ المسلم، الذي تجعله يرفض الخطاب ويقف ضده.

وعليه يمكن القول، إن هذه الاستجابات تحكمت فيها الأيديولوجية الدينية والأخلاقية من جهة، ومن جهة ثانية، الإيحاء بالنموذج الروائي لدى الجمهور، الذي لم يحترمه الكاتب، ويعود الأمر . لدى القارئ . إلى أن الكاتب لم يكن مستحضرا المخاطب وهو يكتب هذا العمل، والدليل حسب الجمهور هو إهماله لمجموعة من الأمور النقدية المتعلقة ببنية الرواية، كما أنه . الكاتب . لم يكن في تطلع قارئه العربي من ناحية احترام المعتقد والأخلاق العامة، الأمر الذي رآه القارئ مخلا بالبناء العام للمجتمع العربي، مما جعله ينقص من قيمة

الرواية لديه، ولا يعطيها صورة إيجابية في ذهنه. وهذا نوع من التعبير عن شخصية القارئ المدافع عن هويته التي حاول المؤلف تشكيلها بصورة مختلفة عن حقيقتها من خلال السرد، ولم يفلح فيها حسب هذا القارئ، فحاول المتلقي تصحيحها بهذه الانتقادات التي تعبر عنه وعن ما يمثل وجوده من دين وأخلاق وحس فني.

5-1-4-استجابات فكرية مع مضمون الرواية

الجمهور المؤول:

تختص هذه الاستجابات بنوع من الجمهور الذي يحاول أن يكشف عن الرسالة الضمنية في الخطاب الروائي. إن هذا الجمهور لا يبالي بالأسلوب الذي عرضت وفقه الرواية إذ جل ما يهمه الأفكار التي تحملها ولا توافق خلفيته. وتنقسم إلى قسمين، استجابات ضد فكرة التعايش والسلم وهي الطاغية على التعليقات، واستجابات تقف موقف المتسائل عن إمكانية التعايش، وهذا النوع من الاستجابات قليل بالمقارنة مع النوع الأول.

أولا-استجابات ضد التعايش: تشكل هذه الاستجابات معظم التعليقات التي تناولت جانب مضمون الرواية، وهي استجابات ترفض فكرة الرواية التي تضمنتها أحداثها وشخصياتها، القائمة على فكرة التعايش والدعوة إلى السلم بين الشعبين، كما كان الأمر من قبل وإنهاء الحرب، لصالح الإنسانية التي تضيع بين الحدود. وعدت هذه الاستجابات أن الروائي متواطئ بل مستسلم ويدعو إلى ذلك. **" تقدم إلينا كيف تحول الفدائيون بالأمس إلى سياح اليوم" "إنها نهاية أسطورية، تدغدغ حلماً يسارياً قديماً. توقف منذ زمن عن لعب دور الفدائي.. وارتدى ثياب سائح" "واستسلام وليد للأمر الواقع، سائحاً في البلاد التي كان يكافح من أجلها.. وأن يدخل بيت أهله في المجدل وتعرفه عليه يهودية يمنية.. بل ويتعاطف معها! أي قلب هذا؟ أي إنسانية زائفة تلك؟ إنه المهزوم الذي لا يملك أن يغير من الأمر شيئاً فيندفع إلى الإنسانية كمبرر لتعاطفه وتخاذله.. تأتي إنسانيته كفعل فاضح! بل تأتي زائفة، منافقة."** [31]

يرفض الجمهور دعوة الكاتب إلى هذا التعايش، إذ يعتبره دعوة مهزوم، لم يجد حلا غيره، ويرى القارئ أن هذا يمس كرامة الفلسطينيين الذين قاوموا طيلة هذه السنوات، وحاربوا من أجل تحرير بلدهم، مما ولدت لديه هذه الدعوة نوعا من تهكم من طرف المؤلف على الشعب الفلسطيني ومحاولة السخرية منه ومن النضالات التي خاضها وما يزال صامدا في وجه عدوه إلى أن يحرر أرضه. ينظر هذا القارئ إلى قضيته من زاوية القومية التي تعلو عنده عن أي شيء آخر، والتي تمثله وتثبت كينونته، وهذا دفاع عن جزء من هويته التي بها يتحقق وجوده، وإنما فكرة التعايش السلمي بالنسبة له مغالطة حاول الكاتب أن يمررها له من أجل الاستسلام وبيع قضيته إلى عدوه، فتسحب أرضه منه.ويمكن رصد التقنيات والاستراتيجيات التي استعملت في استجابات الجمهور الرافض لخطاب الرواية فيما يأتي:

تقويض الفكرة الضمنية في الرواية: لم يتفق القارئ في استجابته مع الرواية للمضمون الذي تضمنته، فعمد للتعبير عن رفضه إلى جملة من الآليات الحجاجية التي استعملها المخاطب من أجل إثبات عدم استحقاقها للجائزة. وحتى الاستجابات التي كانت بعد فوزها حاولت التبخيس من قيمة الجائزة. وهدم مصداقية لجنة تحكيم.

الرفض المباشر: يتمثل هذا الرفض في ردود تتكون من كلمات قصيرة، من قبيل: **"لا تعجبني"**، و**"لم أحبها"** تتصدرها أدوات النفي أو الجزم التي تشير إلى رفض مضمونها، والقارئ هنا يستمد قدرته

للتعبير عن هذا الرفض من الأساليب التي تتيح له إبراز موقفه دون حاجة لتبريره.

عدم الاستحقاق: لجأ القارئ هنا إلى نزع المصداقية من خطاب الرواية، بعدم استحقاقها الاهتمام والفوز بالجائزة والضجة التي أقيمت حولها، وتعد هذه الطريقة في رفض الرواية وفكرتها طريقة غير مباشرة، إذ توسل القارئ "بفعل" الجائزة من أجل أن يفصح عن موقفه من الرواية الرافض لها في الأصل، وهو ما استعمله في العبارات المسكوكة والموحية.

. " وبرأيي لم تستحق كلّ هذه الضجّة وحتى البوكر"

." ولكن لا اعتقد أنها تستحق جائزة البوكر"

." مرة أخرى تخيب البوكر أملي في روايتها الفائزة...وأقل ما يقال عنها أنها لا تستحق الفوز.." [32]

التهكم[33]: وهو من الاستراتيجيات الموظفة لتقويض فكرة الرواية. استخدمه القارئ لتفكيك خطابها والحط من قيمتها الفنية والمضمونية، وقلب ما كان يدعمها إلى نقيضه. ويتمثل ذلك في عبارات من قبيل اعتبار خطاب الرواية سياحة في بلد فلسطين لا أقل ولا أكثر، وهي سياحة تستعرض الأماكن التاريخية التي تزورها شخصيات فلسطينية تعيش خارج البلد مع شخصيات غربية. ولا موقف لهم إلا الانبهار من تلك الأماكن التاريخية ووصفها، ثم تجاوزها وكأن شيئا لم يكن. وهذا النوع من الخطاب يضفي سمة العبثية والعدم في تخلي الفلسطيني عن قضيته الأساس وترك ذلك المناضل الذي كان يشكل جزءا من شخصية كل فلسطيني يغار على بلده من الغريب. فالمفارقة الساخرة الذي عبر عنها المخاطب، تتمثل بين القضية الفلسطينية التي تعد مأساة العرب والإنسانية جميعا وبين السياحة التي صورها الكاتب لشخصياته خاصة الفلسطينية منها. وهو عكس ما كان ينتظر من الكاتب لما أخذ قضية فلسطين موضوع روايته، الأمر الذي أصاب الجمهور بخيبة أمل حول هذه الرواية التي فقدت في نظره ذلك المناضل الذي ما يزال يسكن الفلسطينيين حقيقة.

إضافة إلى هذا التناقض الذي أبرزه القارئ من خلال استراتيجية التهكم، فقد استعمل أيضا الاستفهام الاستنكاري لتقويض فكرة الرواية، تعبيرا عن موقفه الرافض لفكرة الرواية، ويتضح ذلك من خلال المثال الآتي:

"ما الَّذِي يُجبر راويًا فلسطينيًا على كلّ هذا التسامح مع الاحتلال لو لم يَكُن يحملُ رسالةً مُبطنّة؟"[34].

إن هذا الاستفهام الاستنكاري لا ينتظر سائله جوابا، بقدر ما يسعى إلى التشكيك في رسالة الكاتب، ويدعو القراء إلى أخذ حذرهم من قصد الكاتب من دعواه التي ظاهرها التعايش وباطنها الاستسلام ونسيان القضية.

الردود العنيفة للجمهور تعبيرا عن الرفض: توجد كذلك ردود عنيفة للمخاطب في استجاباته، وهو رد عبر فيه عن رفضه لخطاب الرواية ومضمونها التي تحيل عليه. وهذا النوع من القارئ لا يعطي أهمية لكونها جنسا أدبيا تخيليا في الأصل، وإنما يحاكم العمل الروائي على أنه خطاب يوجه رسالة "**مبطنة**" لا يمكن غض البصر عنها، وهي رسالة التسامح والتعايش بين الضفتين.

."تتسع إلى شعبين خطاب مقرف"

." هذا خطاب خانع.." [35]

استعمل الجمهور في هذه الاستجابات للرد عن فكرة الرواية العنف اللفظي الذي واجه به هذا الخطاب الروائي، وهو شكل خطابي يحمل حدة وعدائية، مما جعل الاستجابة تخرج من الجو الهادئ الذي خلقته الرواية في الموقع التواصلي إلى جو التوتر والهجوم. "**خطاب مقرف** " **خطاب خانع**" فهذا الوصف لخطاب الرواية يبين نفور

القارئ وتقزز موقفه منها، وذلك باستعمال الاستعارة، من خلال إسناد للخطاب نوعا من الرائحة، وهذه الرائحة ليست زكية وإنما هي مقرفة وخانعة، والأشياء المقرفة كما هو معلوم لدى المرء يفر منها لمكان لا يشتم رائحتها، وهذا ما حاول القارئ أن يستحضره في وصفه لطبيعة خطاب رواية مصائر الذي يحمل فكرة التعايش والسلم بين الشعب الفلسطيني والإسرائيلي، فربط علاقة بين تلك الرائحة غير المرغوب فيها بفكرة الرواية، ليصبح أمام رواية مرفوضة مضمونيا على نحو مقرف.

وعليه يحيل هذا النوع من التواصل العنيف إلى التعبير عن غضب الجمهور من أطروحة الرواية، وهو موقف يتسم بالتوتر والانفعال من أجل مقاومة هذا الخطاب ورفضه من خلال عبارات تحمل قدرا من الشتيمة، وهو نوع من العدائية والعنف الذي يمكن أن نصف به هذا النوع من الاستجابات. وهي استراتيجية دفاعية تبناها القارئ للدفاع عن موقفه.

ثانيا-استجابات مع التعايش: عدت هذه الاستجابات أن فكرة الرواية قائمة على ما هو أبعد من الوطن ومن هوية الانتماء إلى بلد ما، بل رأت أن فكرة المدهون أعمق من ذلك، فهي فكرة تخاطب قضية إنسانية وتنظر من منظار يعتبر أن من حق الإنسان أن يحيا في هذا العالم في تعايش على الرغم من اختلاف انتمائه أو ديانته. ويرى هذا النوع من الجمهور أن المدهون كان عميقا في رصد هذا الواقع الذي تعيشه فلسطين، وهو واقع موجود بغض النظر عن الأشياء الأخرى التي تحيط به من نزاعات وصراعات. وهذه الاستجابات تمثل نموذج قارئ ذي أيديولوجية إنسانية لا تؤمن بالانتماءات، بل تؤمن بالإنسان. ويمكن تقسيم هذه الاستجابات الإيجابية إلى بعدين:

البعد الكوني الواقعي لسؤال الرواية: إن نوع هذه الاستجابات التي وقفت موقف المتسائلة عما تطرحه الرواية من رؤية جديدة للقضية الفلسطينية، لم يسبق أن تناولها أحد من قبل، جعل موقف القارئ أشبه بموقف من يتلقى معرفة جديدة وإشكالا جديدا. فوقف بدوره يعيد طرح هذه الإمكانية في التعايش مع الكاتب ويدعو ليس لتقبله وإنما إلى التفكير فيه، لأنه واقع يعاش كل يوم في بلد فلسطين. وهذا الواقع هو الذي يطرح هذا السؤال، وهو الأمر الذي ربما جعل المتلقي يستسيغ التفكير فيه.

وقد وصفت استجابات الجمهور هذا السؤال، على أنه سؤال **صعب وثقيل**، ويعود أمر هذا الوصف إلى ثقل القضية الفلسطينية وصعوبة طرح هذا السؤال من قبل فلسطيني ينوء بثقل **الهوية والتاريخ والانتماء**، قد ينعت بتخليه عن بلده واستسلامه كما وصف في الاستجابات السابقة، مما يجعلنا نقول إن هذه الاستجابات عدت خطاب الرواية خطابا معرفيا، يوسع مدارك النظر إلى القضايا من زوايا متعددة يمكن أن تكون الرؤية منها مختلفة أو متناقضة عما هو سائد وما هو متداول. ومن الصعب أن يتقبل المرء الاختلاف في أمر له حساسية كما هي القضية الفلسطينية، لكن هذه الاستجابات كانت واعية بأمر اختلاف الرؤى وأبعاد فكرة التساؤل التي تحتاج إلى نظر وإعادة نظر.

البعد الموضوعي لسؤال الرواية: في ظل هذه الاستجابات، التي جعلت من سؤال القضية سؤالا جديدا وزاوية نظر مختلفة، تشكلت صورة عن الكاتب لدى المتلقي أنه استطاع أن يكون موضوعيا في صياغة أطروحة روايته انطلاقا من هذا السؤال، الذي يصعب أن يقبله متلقي خطاب الرواية دون النظر إلى أبعاده التي تختلف باختلاف طبيعة كل متلق، والخلفية التي ينطلق منها. وذهبت

هذه الاستجابات إلى أن المدهون استطاع أن يكون موضوعيا وهو يصوغ هذا السؤال عبر سرد أحداث الرواية ووصف شخصياتها المتنوعة فلسطينية كانت أو غير فلسطينية، لدرجة أنه أخذ مسافة من **هويته وتاريخه وانتمائه**، دون أن **ينحاز لأي طرف**، وقد وصف القارئ هذا الإنجاز **بالعظمة**، لأنه استطاع أن يقف **موقفا حياديا** وأن يستشكل دون أن يميل إلى جهة ما، وهذا يحسب له من لدن المتلقي، بل اعتبره شيئا أضفى على الرواية طابع التحرر من قيود الانتماء والهوية التي تسيطر في الغالب على خطابات الإنسان، لصالح هوية مشتركة، تتوحد فيها الإنسانية بغض النظر عن أصله وإلى أي بلد ينتمي أو أي ديانة يتبع.

6 . هل تستحق الرواية جائزة البوكر؟ الجمهور اللجنة الثانية للتحكيم قبل.. وبعد

يمثل الجمهور اللجنة الثانية بعد لجنة تحكيم جائزة البوكر، فله سلطة إبداء رأيه في الرواية هل تستحق الفوز أو لا تستحقه. وذلك انطلاقا من معايير يضعها بنفسه من منطلق سياق إعجابه بالرواية أم عدم إعجابه، ومدى تمثيلها لرؤيته التي كان يحملها قبل تشكل خطاب الرواية. ويمكن تقسيم هذه الاستجابات إلى استجابات ضد الرواية واستجابة مع الرواية.

6 .1. الاستجابات "ضد" الرواية من قبل وبعد حصولها على الجائزة:

تنقسم هذه الاستجابات بدورها إلى قسمين: قسم يتمحور حول عدم الثقة في اختيار جائزة البوكر، وقد تشكل في سياقات قبل فوز الرواية، مما يجعل فوز مصائر بالجائزة ليس معيارا للحكم بأنها رواية جيدة، وذلك من خلال التبخيس من قيمة الجائزة. ومقاومة السلطة التي تمارسها على اعتبار أن اختيارها يضفي الشرعية على جودة الرواية.

ولقد برر الجمهور هذا الرفض انطلاقا من أمرين هما: متن الرواية، الذي عُدَّ غير جيد **("فقيرة من الناحية الأدبية..)"** [36] . فبنيتها لا تؤهلها للفوز، لاعتبارات تخص الجنس الأدبي للرواية النموذج، إذ رواية مصائر كسرت تصور المتلقي، إلى حد اعتبرها فقيرة، فرأى أنها لا تنضبط للنموذج المعيار للرواية الذي يوجد في تمثلاته. وعلى الرغم من فوز الرواية بجائزة البوكر، إلا أن بعض استجابات الجمهور مع هذا الفوز كان سلبيا، من قبيل التعليق الآتي: **"وأصبح لدي تصور بأن هناك اعتبارات أخرى للجنة التحكيم في البوكر تعتبرها أهم من قوة الرواية الأدبية... مثل الأيديولوجيات المطروحة فيها..."** [37]

يعتبر الجمهور فوز رواية ما بجائزة البوكر لا يرتبط بالجانب الأدبي فيها بقدر ما يرتبط بالجانب الأيديولوجي الذي يطرح في قالب روائي. فالبعد الحواري، وقبول الاختلاف، ولو كان مع أشد أعدائنا ضراوة، والطابوهات الثلاثة، أصبح كل ذلك تيمة الروايات الحديثة التي ترغب في الفوز بالجوائز العربية. أضف إلى ذلك أن الرواية تميزت، حسب نظرة الجمهور ب: **"الجرأة في التعبير والكثير الكثير من التحرر في اللغة والمعتقدات.."** [38] . ومثلما فازت رواية الطلياني التي اعتبرت جريئة في إثارتها قضية الجنس، فازت رواية مصائر، التي أثارت قضية التعايش مع الآخر الصهيوني، لهذا يعود سبب فوز الروايات بالجائزة إلى الروايات التي تثير قضايا تخدش المجتمع وتكشف ما هو مسكوت عنه وما ينبش تاريخ الذاكرة عبر قضايا خلافية تندرج في إطار الطابوهات أو القضايا الأكثر حساسية لدى الجمهور كالقضية الفلسطينية.

إن هذه الردود الرافضة لفوز الرواية كونت مسلمة مفادها أن الروايات التي تفوز بجائزة البوكر سمة على رداءة الرواية. وهو ما تقرؤه في تعليقات من قبيل: . **"خيبة إضافية مع البوكر"**

. "أؤمن أنه طالما فازت الرواية بالبوكر فهي حتماً رواية رديئة"

. "مرة أخرى تخيب البوكر أملي في روايتها الفائزة"[39]

تحمل هذه العبارات رفضا عُبِّرَ عنه باستعمال كلمات سلبية، من قبيل: **"خيبة"**، **"تخيب"**، **"رديئة"**، وهي ذات حمولة سلبية، وتعبر عن عدم رضا الجمهور بفوز الرواية بالجائزة. إذ أقام علاقة بين الجائزة ذات الحمولة السلبية من خلال هذه الأوصاف وأسندها إلى جودة الرواية، فتنتقل تلك الشحنة السلبية من الجائزة إلى الرواية، فتصبح الرواية **"خيبة" و"رديئة"**. وعليه، فإن الجمهور أقام جسرا بين الجائزة والرواية على نحو سلبي.

لقد كان حدث الجائزة له دور في الحكم على الرواية، فبقدر فعل نجاح الرواية بجائزة البوكر كان إيجابيا لها ويدعم مصداقية وجودتها . كما سنبين في المحور القادم ،. بقدر ما استغلها القارئ كي ينفي تلك الامتيازات عن الرواية، وذلك من خلال الحط من قيمة الرواية ومصداقيتها، وعليه لما أسقط مصداقية الجائزة كان من السهل له أن يسحبها من الرواية أيضا.

2 . 6 . الاستجابات "مع" الرواية من قبل وبعد حصولها على الجائزة:

كانت بطبيعة الحال استجابات إيجابية مع الرواية وخطابها الإنساني الذي يتعالى على المميزات العرقية والخلافات الأيديولوجية. فجاءت هذه الاستجابات مشجعة للرواية مدافعة عن أهليتها وجدارتها في الفوز بجائزة البوكر. ونسوق تمثيلا لها مجموعة من الردود والتعليقات:

. "الرواية مرشحة للفوز، لها أوفر حظ بذلك"

. "رواية تستحق جائزة البوكر"

وبعد فوز الرواية بالجائزة كانت العديد من الردود التي انهالت بالتبريكات والتهنئات للمدهون ولروايته. من قبيل: . **"مباركة الرواية فوزها" "ابارك للمدهون فوزه بالبوكر واتمني له مزيدا من التميز والتألق"**

. "صاغ حبكته بطريقة متقنة جدا ومتأكد هذا الشيء هو اللي خلاه يتفوق ويفوز بالبوكر"

. "تستحق البوكر وبجدارة"[40]

إن التعليق الأخير يرجع فوز الرواية إلى بنية الرواية، وهنا تصبح الاستجابات مبررة فنيا، لأنها رأت أن فوز الرواية لا يتعلق بشيء خارجا عنها، وإنما هو أمر متعلق ببنيتها، التي أبدع المدهون فيها. وعلى هذا الأساس، كانت استجابة الجمهور مع الرواية في الفوز بالجائزة واستحقاقها لها، تعبيرا عن جدارة الرواية وتطلعات المدهون حول قضية فلسطين، الذي أعاد طرحها بصيغة جديدة، وفكر متجدد، في قالب روائي برهنت الجائزة على استحسانه وتفوقه عن باقي الروايات التي كانت مرشحة مع رواية مصائر وتنافسها على لقب البوكر، التي منحتها امتيازا وشهرة واسعة بفوزها، ولعل هذا الأمر جعل من رواية مصائر أن تحقق مكانة متميزة إضافة إلى ما كتب حول القضية الفلسطينية طيلة الصراع العربي الإسرائيلي، إنها رواية أعادت إحياء ألم (48) الذي لا ينسى، فكان للمدهون أن يظفر بهذا الفوز الذي يعبر عن رغبة القارئ في التذكير بالقضية وإعادة إحياء وقائعها المأساوية في الذاكرة، وفي ظل هذه الطروحات يكون البحث عن حلول لهذه المعضلة السياسية والتاريخية والقومية وكل ما يشكل هوية فلسطين وشعب حرم من بلده وانتمائه لموطنه واغتصبت إنسانيته، من قبل الحركة الصهيونية التي شتت شمل شعب فلسطين الذي كان يعيش السلم بين مختلف الطوائف التي تشكله دون تميز ودون حرب ودون إرهاب.

- خلاصة:

إن دراسة استجابات الجمهور البليغة لرواية مصائر، وتصنيفها حسب أنواع استجاباتها، تبين

لنا أن هذه الاستجابات تنقسم إلى قسمين: قسم مقاوم لسلطة الخطاب ومذعن له، وقسم محايد بشكل من الأشكال. هذه التنويعات في الاستجابات تجعل الخطاب الروائي تحت مجهر الجمهور، الذي يثير حوله الكثير من النقاشات سلبا وإيجابا، مقاومة وهيمنة، وهو ما يسمح بتشكيل تصورات عن طبيعة الجمهور الذي يتوجه إليه الخطاب الروائي والخلفية التي ينطلق منها لإبداء تفاعله، وهو أمر يحتاج تعميقا من حيث مفهوم التمثيلات المعرفية التي يتلقى الجمهور عبرها الخطابات.

وهذا لا يعني إهمال طبيعة الجنس الروائي المبني على العاطفة، التي تساهم بشكل كبير في تحريك أهواء القارئ والتأثير فيه، من خلال الشحنات العاطفية التي يمتلكها هذا الجنس، المتمثلة في طبيعته السردية، هذا السرد الذي يتشكل عبر مجموع من المشاعر والأحاسيس المختلفة، مما يجعل سلطة الخطاب في الممكنات السردية الموظفة فيه. تلعب دورا مهما في سلب حرية المتلقي والاستحواذ على موقفه.

كما أن جمهور الرواية لا يتلقاها وهو خال من أي تصور مسبق، بل يتلقاها وهو محمل بالمواقف والآراء والأيديولوجيات، ودراسة استجابة الجمهور لا يجب أن تغفل هذه الأبعاد المعرفية المتحكمة في التفاعل مع الخطاب كيفما كان نوعه. كما أن التعمق في فهم طبيعة الاستجابة تقتضي القيام ببحث إثنوغرافي يضاف إلى التعليقات التي وجدناها في موقعgoodreads.

المراجع:

- المدهون، ربعي. رواية مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2 . 2015.

حسن حاوي، صلاح، صديقي، عبد الوهاب (تحرير وتقديم). بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات. دار شهريار ط 1، 2017.

لوبون، غوستاف، سيكولوجية الجماهير. ترجمة وتقديم: هشام صالح، دار الساقي، ط 1، 1991.

طاليس، أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه: عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات الكويت. دار القلم بيروت لبنان، 1989.

عبد الفتاح إمام، إمام. مفهوم التهكم عند كيركيجورد الرسالة السابعة عشرة، حوليات كلية الآداب الحولية الرابعة، 1983.

عبد اللطيف، عماد، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد، ضمن "بلاغة الجمهور"، ص؟؟.

عبد اللطيف، عماد، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته (مقال)، "السلطة ودور المثقف"، جامعة القاهرة.

عبد اللطيف عماد، منهجيات دراسة الجمهور. ضمن "بلاغة الجمهور"، ص؟؟؟؟

معلوف، أمين، الهويات القاتلة قراءة في الانتماء والعولمة، ترجمة: نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر والتوزيع سورية . دمشق، طبعة: 1، 1999.

ريكور بول، "الذات عينها كآخر" في حديثه عن الهوية السردية، ترجمة وتقديم: جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة 1 . 2005.

إيكو، أمبرتو، تأملات في السرد الروائي، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الطبعة 2. 2015.

عبيد، حاتم، أكتوبر. ديسمبر 2011، منزلة العواطف في نظريات الحجاج (مقال)، مجلة عالم الفكر الحجاج، العدد 2 المجلد 40.

- Amin, maalouf , les identités meurtrières, le livre de poche, édition: 1, 1998.

[1] يعبر عنها أرسطو طاليس في كتابه "الخطابة" بهذا القول: "والكلام نفسه مركب من ثلاثة: من القائل، ومن المقول فيه، ومن الذي إليه القول والغاية إنما هي نحو هذا، أعني السامع" حققه وعلق عليه: عبد الرحمان بدوي، الناشر وكالة المطبوعات الكويت ودار القلم بيروت لبنان 1989، ص: 16

[13] يمكن الإحالة على أمين معلوف الذي يقاسم المدهون طرحه بصيغة أخرى في كتابه "الهويات القاتلة"، فمن أجل بناء هوية كونية تشترك فيها الإنسانية جمعاء، يجب احترام خصوصية كل هوية لكل فرد التي تتطلب الاختلاف بالضرورة عن هوية الآخر وانتمائه "هويتي هي ما يجعلني غير متماثل مع أي شخص آخر" (ص: 14). لكن في نهاية المطاف تجمعنا الهوية الإنسانية "شعور الانتماء أيضا إلى المغامرة الإنسانية" (ص: 143). كما يوضح ذلك في قوله: إن "التطور الحالي قد يؤهلنا قريبا إلى انبثاق مقاربة جديدة، لمفهوم الهوية، هوية تدرك بوصفها حصيلة كل انتماءاتنا، ويأخذ الانتماء إلى الجماعة الإنسانية في إطار أهمية متزايدة بحيث يصبح يوما ما الانتماء الرئيسي دون أن يؤثر مع ذلك على انتماءاتنا العديدة الخاصة" (ص: 90)، مرجع سابق.

[15] نظر ا الرابط الآتي: https: //www.goodreads.com/book/show/25806129 تاريخ الدخول: 2018/12/02: على الساعة 21: 23 مساء.

[15] ريكور بول، "الذات عينها كآخر" في حديثه عن الهوية السردية، ترجمة وتقديم: جورج زيناتي، الطبعة 1 . 2005، مركز دراسات الوحدة العربية، ص: 249. 293. 660.

[16] إن منطلق تحليل هذه الرواية كان من طبيعة هذا الجنس السردي، ودور الأهواء التي توظفها الرواية بشكل كبير، واعتبارا أن هذه الأهواء تكمن فيها سلطة الرواية، التي تمارسها على المتلقي للتأثير فيه. كما حدد ذلك أرسطو ومن أتى بعده في أنواع الحجاج الخطابي، من بينه الأهواء، وذلك محاكاة لطبيعة الإنسان التي تتشكل من عقل وعاطفة. ومخاطبة الجانب العاطفي يعد استراتيجية لإيقاع التأثير على المتلقي وحمله على الخضوع لسلطة الخطاب، عبر خلق عوالم سردية، ذلك ما يترجم في الأسلوب من جمال اللفظ وابتكار المعنى.

يمكن العودة إلى مقال حاتم عبيد، "منزلة العواطف في نظريات الحجاج"، مجلة عالم الفكر الحجاج، العدد 2 المجلد 40 أكتوبر. ديسمبر 2011.

[17] نشير في هذا الصدد إلى أمبرتو إيكو في كتابه "تأملات في السرد الروائي"، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الطبعة 2. 2015، في مقدمة المترجم، واصفا أثر فعل القراءة للرواية وسحر السرد لدى أمبرتو إيكو: " خلق

---

[2] عبد اللطيف عماد، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته (مقال)، ضمن "السلطة ودور المثقف"، جامعة القاهرة، ص: 13.

[3] - مشروع بلاغي يعنى بالجمهور في العملية التواصلية، هادفا إلى دراسة طبيعة الجمهور وتزويده بآليات تحقيق استجابة بليغة للخطابات التي تسعى إلى تضليله والتلاعب به. ولمزيد من الاطلاع على هذا المشروع يرجى النظر إلى كتابات الباحث المصري عماد عبد اللطيف في هذا المشروع، ثم كتاب بلاغة الجمهور الذي صدر عام 2017، وهو كتاب يعدُّ احتفاء بهذا المشروع البلاغي الجديد.

[4] عبد اللطيف، عماد، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته (مقال)، ضمن "السلطة ودور المثقف"،
جامعة القاهرة، ص: 28.

[5] عبد اللطيف، عماد، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد، (المقال)، ضمن "بلاغة الجمهور"، تحرير وتقديم: صلاح حسن حاوي . عبد الوهاب صديقي، دار شهريار.

[6] انظر، عبد اللطيف عماد، بلاغة المخاطب، مرجع سابق، ص: 21.

[7] المرجع نفسه، ص: 28.

[8] عبد اللطيف عماد، منهجيات دراسة الجمهور، (مقال)، ضمن "بلاغة الجمهور"، مرجع سابق، ص: 170 .

[9] عبد اللطيف عماد، بلاغة المخاطب، مرجع سابق، ص: 21.

[10] نستثني هنا الروايات التجريبية التي تخرق قوانين السرد العادية، فهي غالبا ما تكون موجهة إلى قارئ خاص.

[11] بكار سعيد، "فالإيديولوجية التي تشيع في مجتمع ما هي التي تجعل الفرد متقبلا لخطاب ما دون آخر، وتغييب هذا البعد، يحول دون الفهم السليم لمسألة الاستجابة ولعملية التأثير الإيجابي أو السلبي في الآخر"، في مفهوم بلاغة الجمهور، (مقال)، ضمن "بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات"، تحرير وتقديم: د صلاح حسن حاوي د. عبد الوهاب صديقي، دار شهريار ط1 . 2017، ص: 70.

[12] تعود هذه المقومات الثلاث إلى مسألة الهوية أيضا التي تتحكم بطريقة أو بأخرى في تشكيل رأي الجمهور، ويمكن تحديد هوية الجمهور في المقوم الديني والتاريخي والسياسي، كما يمكنها أن تحدد في مقومات أخرى.. العودة في هذا الصدد إلى كتاب أمين معلوف، "الهويات القاتلة قراءة في الانتماء والعولمة"، ترجمة: د. نبيل محسن، ط: 1. 1999.

بتاريخ: 2018/15/02: على الساعة: 23: 42 مساء. https: //www.goodreads.com/book/show/25806129. انظر الرباط الآتي: .[30]

بتاريخ: 2018/06/04: على الساعة: 20: 21 مساء. https: //www.goodreads.com/book/show/25806129. انظر الرباط الآتي: .[31]

. نفس الرابط، بتاريخ: 30/06/2018، على الساعة: 12: 09 ظهرا.[32]

[33]. إمام عبد الفتاح إمام، مفهوم التهكم عند كيركيجور الرسالة السابعة عشرة، حوليات كلية الآداب الحولية الرابعة 1983.

بتاريخ: 2018/23/02: ساعة الدخول: 20: 02مساء. https: //www.goodreads.com/book/show/25806129. انظر الرابط الآتي:[34]

. نفس الرابط، بتاريخ: 30/06/2018: على الساعة: 12: 22 ظهرا.[35]

بتاريخ: 2018/04/03: على الساعة: 19: 49 مساء. https: //www.goodreads.com/book/show/25806129. انظر الرابط الآتي:[36]

[37]. نفس الرابط، بتاريخ: 2018/04/03: على الساعة: 19: 56 مساء.

[38]. نفس الرابط، بتاريخ: 2018/04/03: على الساعة: 20: 09 مساء.

. نفس الرابط، بتاريخ: 2018/04/03: على الساعة: 22: 03[39] مساء.

. نفس الرابط، بتاريخ: 2018/10/03: على الساعة: 20: 18[40] مساء.

حالات التلذذ بسحر عوالم التخييل [..] تسحرهم العوالم السردية بإمكاناتها التخييلية المتعددة دون أن يعوا مصدر السحر وتأثيره" ص: 13.12.11.

[18] نظر ا الرابط الآتي: https: //www.goodreads.com/book/show/25806129 تاريخ الدخول: 2018/12/02: على الساعة 19: 30 مساء.

[18] الرابط نفسه، تاريخ الدخول: 2018/12/02: على الساعة 20: 00 مساء.

[19] . انظر الرابط الآتي: https: //www.goodreads.com/book/show/25806129 تاريخ الدخول: 2018/12/02: على الساعة 21: 50 مساء.

[21]نفس الرابط: بتاريخ: 2018/15/02: على الساعة: 22: 06 مساء.

[22]نفس الرابط: بتاريخ: 2018/15/02: على الساعة: 22: 20 مساء.

[23] عبد اللطيف عماد، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، مرجع سابق.

[24]تاريخ الدخول: 2018/06/01، على الساعة: 17: 06 https: //www.goodreads.com/book/show/25806129انظر الرابط الآتي: مساء.

[25] نفس الرابط، تاريخ الدخول: 2018/06/01، على الساعة: 16: 34، مساء 10: 15 صباحا.

[26] الرابط نفسه، تاريخ الدخول: 2018/31/05. الساعة: 10: 25 صباحا.

. الرابط نفسه، تاريخ الدخول: 2018/06/01، على الساعة: 17: 17 مساء.[27]

. الرابط نفسه، تاريخ الدخول: 2018/06/01، على الساعة: 18: 27 مساء.[28]

. لا توجد أي عبارة تذكر الله في الصفحة 107 من الرواية في الطبعة الأولى.[29]